مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية | المجلد7 / العـــدد: 2 (عدد خاص) (2023)، ص 105-115

رحلة ابن حمادوش المسماة:"لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"كمصدر للتدوين للتاريخي (1743م/ 1156 هـ)"

The trip of Ibn Hammadush named:" Lissan Elmakal Fi Ennaba An Enassab Wa El Hassab Wa El Hal" (1743)

نادية فتيسي*
جامعة عبد الحميد مهري- جامعة قسنطينة2 (الجزائر)
nadiafetici@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/12/31 تاريخ القبول: 2023/04/17

- **الملخص:** تتجه معظم الدراسات الحالية للاهتمام بمصادرنا المحلية وتوظيفها في كتابة التاريخ لاسيما الفترة الحديثة ومن أبرز تلك المصادر كتب الرحلة التي تعد نمطا خاصا من أنماط الكتابة التاريخية للمؤرخين الجزائريين في العصر الحديث، وفي هذا الصدد تأتي رحلة ابن حمادوش الجزائري الموسومة ب" **لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**"كونها من الرحلات الهامة التي وصلت إلينا في فن الرحلة من العصر العثماني، لا يمكن الاستغناء عنها للتعرف على أوضاع الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن الثاني عشر الهجري، والإشكالية التي سنحاول الإجابة عنها هي: إلى أي مدى يمكن اعتبار رحلة ابن حمادوش مصدرا من مصادر التدوين التاريخي للمغرب الأقصى خلال القرن الثامن عشر؟ وحتى نتعرف على القيمة التاريخية لهده الرحلة قمنا بمقارنة ما سجله ابن حمادوش خاصة في الجانب السياسي بما كتبه الناصري في مؤلفه المشهور الاستقصاء، وقد وقفنا على عدة حقائق أوردها ابن حمادوش تغفل عنها المصادر المغربية الأخرى لأنه كان شاهدا على تلك الأحداث ولكونه أيضا فلكيا وجغرافيا ودقيق الملاحظة.
- **الكلمات المفتاحية:** ابن حمادوش الجزائري، الرحلة، المغرب الأقصى، ثورة الريفي، مصادر التدوين التاريخي.

Abstract: Most of the current studies interested in our local sources and employ it in writing history, especially the modern period. Among the most prominent of them are the trips that are considered a special type of writing for Algerian historians in the modern era. In this regard, comes the trip of Ibn Hammadush al-Jaza'iri, because it is one of the important trips that reached us in the art of the trip from the Ottoman era, without which it is not possible to learn about the conditions of the Regence of Algiers and Marco during the twelfth century Hégerie. Therefore, the problem that we will try to answer is: What extent can Ibn Hammadush's trip be considered a source of historical writing for the Marco during the eighteenth century AD?. In order to get acquainted with the historical value of this trip, we compared what Ibn Hammadush recorded, especially in the political aspect, with what Al-Nasiri wrote in his famous book, El Istiqsaa. We concluded on several facts reported by Ibn Hamddush that were overlooked by other Moroccan sources because he was a witness to those events and because he was also an astronomer and geography with careful observations.

Key words: Ibn Hammadush al-Jaza'iri, The trip, Marco, The Revolution of Al-Rifi, Sources of Historical Writing.

*نادية فتيسي

● مقدمة:

تتجه معظم الدراسات الحالية للاهتمام بمصادرنا المحلية وذلك بالعودة إلى تراثنا الثقافي وتوظيفه في كتابة التاريخ لاسيما الفترة الحديثة، ومن أبرز تلك المصادر كتب الرحلة باعتبارها سجل حافل بمختلف مظاهر الحياة وتقاليد الشعوب وطرق عيشهم على مر العصور، حيث اعتاد الرحالة خلال تنقلاتهم بين مختلف البلدان والأمصار على تسجيل ملاحظاتهم ومشاهداتهم و ما وصل إلى أسماعهم عن مختلف نواحي الحياة سواء السياسية منها أو الاقتصادية والاجتماعية وكذا الثقافية لتلك المناطق التي مروا بها، وفي هذا الإطار فإن الرحالة الجزائريين خلال العهد العثماني قد كانت لهم إســـهامات في غاية الأهمية بما احتوته من مادة علمية وأدبية ذات قيمة لا يستهان بها على غرار رحلتي ابن عمار والورتلاني وغيرهما.

ومنه يمكننا القول بأن الرحلة تعد نمط خاصا من أنماط الكتابة التاريخية ومنهجا من مناهج المؤرخين الجزائريين في العصر الحديث، وفي هذا الصـدد تأتي رحلة ابن حمادوش الجزائري الموسـومة ب" **لسـان المقال في النبأ عن النسـب والحسـب والحال**" ، كونها من الرحلات النادرة التي وصلت إلينا في فن الرحلة من العصر العثماني الذي عرف بالجمود الفكري على حد وصـف الكثير من الباحثين، كما أنها تعتبر جزءا من التراث الجزائري العربي والإسـلامي لا يمكن للباحث الاسـتغناء عنه للتعرف على أوضـاع الجزائر والمغرب الأقصـى خلال القرن الثاني عشـر الهجري الموافق للقرن الثامن عشـر الميلادي بالرغم من كثرة الاستطرادات بها.

ولهذا فإن **الإشـكالية** التي سـنحاول الإجابة عنها من خلال هذه الدراسـة هي: إلى أي مدى يمكن اعتبار رحلة ابن حمادوش مصدرا من مصادر التدوين التاريخي للمغرب الأقصى خلال القرن الثامن عشر؟ وما هو منهجه في الكتابة وما هي أبرز مميزاته؟ وما هي أهمية رحلته وقيمتها العلمية؟

1. التعريف بصاحب الرحلة ومؤلفاته:

1.1 التعريف بصاحب الرحلة:

هو عبد الرزاق بن محمد بن محمد المعروف بابن حمادوش الجزائري اشعري العقيدة مالكي المذهب الشريف نسبا،[1] مؤرخ ونسابة[2] وصيدلي وطبيب. ولد في مدينة الجزائر بأسرة ميسورة الحال تمتهن الدباغة عام (1107هـ/1695م)، نشأ وتعلم في مدينته العلوم الشرعية من فقه وأدب وتصوف وتوحيد، وتقلد بعض الوظائف الدينية[3]، ثم اشتغل بالتجارة فقد كان يمتلك دكانا للأقمشة بمدينة الجزائر كما جاء في رحلته[4].

---

[1]– عبد القادر بكايري، عبد الرزاق ابن حمادوش والكتابة التاريخية من خلال رحلته الموسومة بـ"لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"،مجلة عصور الجديدة –المجلد 7 العدد26 ، جامعة وهران، 2016-2017، ص. 237

[2]– عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت ، 1980، ص. 365

[3]– عبد الرزاق ابن حمادوش، رحلة ابن حمادوش المسماة:" لسان المقال في النّبأ عن النّسب والحَسب والحال، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983 ، ص. 9-11

[4] –عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر نفسه، ص. 114

في العشرينيات من عمره راح يجوب العالم الإسلامي حيث بدأ برحلة الحج سنة 1130هـ/ (1717-1718م)[1] ثم سافر إلى المغرب الأقصى والمشرق في مناسبات أخرى،لم يكتف ابن حمادوش بالعلوم الشرعية فحسب بل اعتنى بدراسة الحساب والطب والفلك، وكان اهتمامه بالعلوم العقلية هو ما يميزه عن باقي معاصريه، ويعتبره كارل بركلمان عالم حساب وفلك وطبيبا، وذكر أنه توفي في حوالي 1170هـ/1756م[2]، بينما يذكر أبو القاسم سعد الله أنه عاش إلى حوالي تسعين سنة، وتوفي في مكان وتاريخ مجهولين[3]، بينما يرجح الأستاذ عبد القادر بكايري أنه توفي بالمشرق بين سنوات (1197 هـ/1783 م،و1200 هـ/1786 م)[4].

2.1 آثاره: غلب الطابع العلمي على مؤلفات ابن حمادوش نظرا لعددها الكبير في الطب والصيدلة والحساب ولكن للأسف الكثير منها مفقود، ومن أشهر كتبه التي وصلت إلينا مؤلفه الذي ذكره كارل بركلمان المسمى: "**الجوهر المكنون في بحر القانون في الطب** " وقد طبع قسم منه خاص بالصيدلة يحمل عنوان: "**كشف الرموز في بيان الأعشاب**"[5]، وكان أول من اكتشفه الطبيب الفرنسي لوسياك لوكليرك الدي عرفه بواسطة أحد الجزائريين سنة1861م، وطبع أول مرة بباريس سنة 1874 ثم ترجم إلى اللغة الفرنسية من طرف المستشرق جبريال كولين في الجزائر سنة 1903م وطبع ب مطبعة ديلور ومرنيال.[6]

له كتاب آخر في الطب بعنوان " **تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج**" ألفه ابن حمادوش خلال رحلته للحج بمدينة الرشيد بمصر سنة 1161 هـ/ 1748م موضوعه الرئيسي هو وظائف الأعضاء التناسلية والاضطرابات التي تصيبها وطرق علاجها[7]. كما ألف كتابا في الحساب بعنوان: "**بغية الأديب في علم التكعيب**" الذي أتمه سنة 1143 هـ/ 1731 م. ولابن حمادوش مؤلفات أخرى في مواضيع مختلفة في علم الإسطرلاب والفلك والحساب وغيرها من العلوم لكنها للأسف مفقودة.

2. التعريف بالرحلة:

2. 1 التعريف بالرحلة: لقد قام الأستاذ المرحوم أبو القاسم سعد الله بتحقيق رحلة ابن حمادوش في مدة تجاوزت العشر سنوات حسب ما ذكر في مقدمة تحقيقه، معتمدا على نسخة مخطوطة وحيدة محفوظة بالخزانة العامة بالرباط في 278 صفحة، وهي قسم من الجزء الثاني أما الجزء الأول فهو مفقود، وقال ابن سودة أن لابن حمادوش رحلة إلى المغرب الأقصى سنة 1156هـ/ 1743م أطال فيها وصف المغرب تقع في مجلدين وبلغه أن منها نسخة بالخزانة الكتانية بفاس[8]. ومهما يكن من أمر فان ابن حمادوش قد

---

[1]-Gabriel, Colin, A.bderrezaq El-jezairi, un médecin arabe du XII siècle de l'Algérie, Imprimerie Delord.(-Boehm et martial éditeurs du Montpellier médical, Montpellier, 1905, p.34.

[2]- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية: يعقوب بكر ورمضان عبد التواب، دار المعارف، مصر، 1975 ، ص.86، 87

[3]- عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص. 13

[4]- عبد القادر بكايري، المرجع السابق، ص. 237

[5]-كارل بركلمان، المرجع السابق، ص.87

[6] Gabriel, Colin, Op. Cit. p.34-37

[7]-عبد القادر بكايري، المرجع السابق. ص.239

[8]- عبد السلام ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ط1، دار الفكر، بيروت، 1997، ص. 248

بدأ رحلته في ســـنة 1156هـ/ 1743م وانتهت في الثالث جمادى الأولى 1160هـ آخر أفريل أول ماي 1747م. أي أنها دامت أربع سنوات.

ويرى الأســتاذ أبو القاســم ســعد الله أن الرحلة تطبق على جزء فقط من المخطوطة أي على الجزء الخاص برحلته إلى المغرب الأقصى وهو من الصفحة 3 إلى الصفحة 75، وهو الجزء الذي قامت عليه دراستنا، أما الباقي من الكتاب فيحتوي على موضوعات كثيرة تفتقد إلى وحدة الموضــوع وهي عبارة عن مذكراته اليومية وحياته العائلية والأخبار الســياســية والاقتصــادية والاجتماعية والحياة الثقافية ومؤلفاته[1].

اعتمد ابن حمادوش في كتابة رحلته على دقة ملاحظاته واهتماماته بطبائع الناس وغرائب الأشياء، وسجل رحلته بأسلوب بسيط في تعابيره بعيدا عن التنمق اللفظي والســجع المتكلف المنتشــر في ذلك العصــر معتمدا على التاريخ الزمني للأحداث في كل تحركاته وأسفاره[2].

وتعتبر رحلة ابن حمادوش رحلة مغربية علمية وتجارية وليســت دينية حجازية كرحلة ابن عمار[3] ورحلة أبو راس الناصــري[4] وهي من الرحلات القليلة التي وصلت إلينا من العهد العثماني، كما أنها جزء من التراث الجزائري العربي والإسلامي لا يمكن للباحث الاستغناء عنه في التعرف على أوضاع الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي بالرغم من كثرة الاستطرادات بها.

3. القيمة التاريخية لرحلة ابن حمادوش:

أورد ابن حمادوش في رحلته معلومات قيمة عن موضوعات مختلفة منها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ومنها:

1.3 الجانب السياسي:

ســجل ابن حمادوش الأخبار الســياســية في رحلته وخاصــة ثورة الريفي التي كان شــاهدا عيانا عليها وكاد أن يقتل فيها، وذكر أنه كتب بدايتها في الجزء الأول المفقود[5]، وأتم ســرد باقي أحداثها وتطوراتها في جزءها الثاني الذي وصــل إلينا وحتى نتعرف على مدى صــحة ودقة ما كتبه حول هاته الثورة قمنا بمطابقة أحداثها مع ما كتبه عبد الكريم بن موســى الريفي[6] والناصــري[7] المؤرخ المغربي الشهير:

1.1.3 قائد الثورة

---

[1]–عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص. 13

[2]– المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص.22.

[3]– المسماة :"نحلة اللّبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب"

4– المسماة:فتح الاله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته

[5]– ابن حمادوش، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص. 13

[6]– من خلاله كتابه الموسوم بزهر الأكم المتوفى في 1153هـ

[7]– أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، ج7، تحقيق، محمد وجعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997.

إن القاريء لثورة الريفي في المغرب الأقصى يلاحظ أن ابن حمادوش قد عرف بقائد الثورة وقال أن اسمه هو أحمد بن عبد الله الريفي[1]، لكنه أخطأ في حين أن اسمه هو أحمد بن علي الريفي خلف والده في الولاية بناحية جبالة والفحص بشمال المغرب (منطقة الريف) وكان إداريا وقائدا لجيش عبيد البخاري بتطوان منذ عهد السلطان المولى إسماعيل ،[2] ثم ذكر أسباب الثورة وقدم وصفا لشخصيته وقال عنه أنه شخص متجبر ظالم أرهق الناس بالمكوس وجعلها دائمة، ولديه طموح كبير في السياسة الشيء الذي دفعه إلى الاستقلال والمطالبة بالملك؛ في البداية اعتبر نفسه من الأشراف له الأحقية في الخلافة، لكنه كشف من طرف كبار القوم ، فقرر الثورة مغتنما الفوضى والظروف الصعبة التي يمر بها المغرب بعد وفاة المولى إسماعيل 1139هـ/1727م وخاصة الصراع على الملك بين الإخوة الثلاث(عبد الله، زين العابدين والمستضيء بنور الله) والدي زكا ناره جيش عبيد البخاري بتدخله في تنصيب وعزل السلاطين على حسب أهوائهم، بالإضافة إلى المتمردين كأمثال الريفي وأصحاب الطرق الصوفية وقد أشار ابن حمادوش إلى تلك الفوضى بقوله:" إنهم انسوا الفتنة" [3].

من خلال ما تقدم نلاحظ أنه لا يوجد اختلاف واضح بين ما كتبه ابن حمادوش والناصري[4] لا في وصف شخصية الثائر ولا في أسباب الثورة.

2.1.3 معركة فاس الأولى:(معركة وادي سبو)

تكلم ابن حمادوش على المعارك التي قادها الريفي وقد جرت خلال عام 1156هـ/ 1743م وهي السنة التي كان فيها بالمغرب الأقصى حيث نزل بتطوان وانتقل إلى فاس وشهد أحداث هاته الثورة؛ وذكر أن أحمد بن علي الريفي كان أكبر حليف ومناصر للمولى المستضيء بنور الله وكان يسعى لتوليته عرش المغرب وعزل المولى عبد الله فاتصل بجيش عبيد البخاري بمشرع الرملة وطلب منهم مبايعة الأول وعزل الأخير ، وفعلا نفذوا أوامره ونصبوا المستضيء بنور الله الذي لجأ إلى مدينة مكناس بينما استقر المولى عبد الله بفاس. فقرر أحمد الريفي مهاجمة فاس ومحاصرتها بمحلة كبيرة مجهزة بالعدد والعدة، وتبعه المولى المستضيء بنور الله بمحلة أخرى ولحقت بهم محلة جيش عبيد البخاري واحكموا الحصار على فاس وأرادوا تهديمها على رؤوس سكانها، وفي مقابل جهوده أهداه المولى المستضيء فرسا مسرجا بسرج من الذهب، ونادى في جيوشه بطاعة الريفي والولاء له[5]. وقد انفرد ابن حمادوش بالحديث عن هذه الهدية، فلم يشر إليها الناصري في كتابه الاستقصاء[6].

ولما اشتد الأمر جمع علماء فاس حلفاءهم من العرب والبربر وحرضوهم على الجهاد واستعدوا للقتال رفقة المولى عبد الله ورفعوا الرايات، وهجموا على المحاصرين من كل حدب وصوب وكان ذلك في 23 صفر 1156هـ الموافق ل 7 أفريل 1743م،

---

[1]-ابن حمادوش، المصدر السابق، ص.75.

[2]- عبد الكريم بن موسى الريفي توفى 1153هـ، زهر الأكم، دراسة وتحقيق، أسية بنعدادة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،،1992. ص. 151

[3]- ابن حمادوش المصدر السابق، ص75-76

[4]- أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء، ج7، المصدر السابق، ص.115-117/ ابن حمادوش، المصدر السابق، ص. 75-76

[5]- المصدر نفسه، ص. 75-77

[6]- ابن حمادوش، المصدر نفسه، ص.154، 160-162

واستعملوا البنادق والسيوف وقضوا على محلة جيش العبيد ثم محلة الريفي وعسكر المستضيء وحاولوا القبض على الريفى لكنه تمكن بصعوبة من الفرار. والقارئ بين ما سجله ابن حمادوش باعتباره كان شاهدا عيانا على المعركة والناصري الذي اعتمد على مصادر متقدمة كصاحب البستان الظريف[1] ونشر المثاني[2] يلاحظ أن الناصري ذكر تفاصيل كثيرة حول تحركات الجيوش وأسماء المواضع،[3] ودلك لكونه ابن المنطقة ويعرف كل صغيرة وكبيرة عنها على عكس ابن حمادوش الرحالة.

3.1.3. نتائج المعركة:

ذكر ابن حمادوش نتائج هذه المعركة وقال أن جيش المولى عبد الله من عرب وبربر قضوا على محلة أحمد الريفي عن آخرها وكذا محلة العبيد وتمكن عدد قليل من النجاة، ومن بينهم أحمد الريفي والمولى المستضيء بنور الله، وخلال هذه المعركة أوشك أهل فاس أن يقتلوا ابن حمادوش لولا تدخل أعيان البلد بالدفاع وصد المتمردين عنه[4].

إن المتتبع لأحداث ثورة أحمد الريفي من خلال ما سجله ابن حمادوش في رحلته[5] يلاحظ أنه قد وقع في التكرار فبعد أن سرد أسباب وأحداث ونتائج وسجل تاريخ المعركة ومكانها جاء في الصفحات التالية وكرر ما سبق عرضه في هدا الموضوع، ولكنه أضـــاف إليها الموقع المحدد للمعركة وهو "وادي ســـبو" القريب من فاس بنحو ميل كما تحدث عن الغنائم وأنواعها التي غنمها جيش المولى عبد الله بالتفصيل ويتفق فيها مع الناصري إلى حد بعيد .[6]

وعلى العموم كانت الغنائم حسب المصـدرين المعتمدين في الدراسـة تتكون من الذهب والسـيوف المرصـعة والأسـلحة والأثاث والملابس وثلاثة عشـر مدفعا. كما ذكرا أنه بسـبب انشـغال جيش المولى عبد الله بنهب الغنائم تمكن الريفي من الهروب إلى طنجة[7].

4.1.3 معركة فاس الثانية (وقعة العسال):

حسب ابن حمادوش والناصري فإن أحمد الريفي لم ييأس بسبب الخسارة الكبيرة التي مني بها في معركة وادي سبو، وبمجرد دخوله مدينة طنجة راح يستعد للحرب من جديد وشرع في تجميع الجيش وإنشاء محلة جديدة بدل التي هلكت في معركة سبو، وبعد أن أتم استعداداته خرج يغزو القرى والمدن المجاورة حتى تجاوز مدينة القصـر الكبير، عندئذ طلب منه المولى المستضـيء الدخول إلى مكناس فغزاها لضعف سكانها، وقد انفرد ابن حمادوش بذكر التاريخ بدقة كعادته حيث قال: فخرج إليه المولى عبد

---

[1]– أبو القاسم الزياني، البستان الظريف في دولة أولادي مولاي الشريف، تحقيق رشيد الزاوية، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الرباط، 1977

[2]– محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق، محمد حجي وأحمد توفيق، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، الرباط ، 1977.

[3]– الناصري، المصدر السابق، ص. 160-162

[4] ابن حمادوش، المصدر السابق، ص. 97

[5]– المصدر نفسه، التكرار في الصفحة.91

[6]– المصدر نفسه، ص. 91-92/ الناصري، المصدر السابق، ص.160-162

[7]– ابن حمادوش، المصدر السابق، ص.92 / الناصري، المصدر السابق، ص. 162

الله يوم الاثنين مساء آخر يوم من جمادى الأولى سنة 1156هـ الموافق ل11 جويلية 1743م ونزل إلى القصر قريب من مكان تمركز الريفي[1]، بينما اكتف الناصري بذكر الشهر حيث قال جمادى الأولى من سنة 1156هـ. [2]

ويقول ابن حمادوش أنه في ليلة الاثنين 14 جمادى الآخر الموافق 25 جويلية وصل الخبر إلى المولى عبد الله، وأن أخ الريفي المدعو عبد الكريم أخبره لعداوة بينهما أن الباشا أحمد بن علي الريفى مستعد لحربه وأنه سيهاجمه في الصباح فاستعد لملاقاته، ونظم جيشه ووزع المهام وعين القادة وذكر أسماءهم مثل بوعزة الشربيل الذي كان قائد جيش العبيد، كما وصف مجريات المعركة وتحرك جيش السلطان المولى عبد الله وكيف أحاطت بمحلة الريفي من كل جانب فلم ينج منهم إلا القليل، ويتفق في كل دلك مع الناصري، وانفرد ابن حمادوش بذكر إصابة الريفي وكيف تمكن القائد بوعزة من كشفه وقتله، ويتفق معه مرة في تفاصيل حادثة قطع رأس احمد الريفي وحمله إلى السلطان، ونقله إلى مدينة فاس وتصليبه تعليقه على باب المحروق هناك[3].

كما يتفق ابن حمادوش مع الناصري في مكان المعركة وهو موضع قريب من مدينة القصر وإن كان هناك اختلاف بينهما فيبرز في تاريخ المعركة حيث يحدده الناصري في الرابع عشر جمادى الأولى معتمدا على صاحب نشر المثاني أنها كانت أي (المعركة) في الرابع من شهر جمادى الثانية، ونعتقد أن التاريخ الصحيح هو الذي أورده ابن حمادوش لأنه شاهد بعينيه هذه الأحداث ولأنه أيضا عالم فلك وجغرافيا[4]، أما باقي أحداث المعركة فهي تقريبا متطابقة مع وجود بعض التفاصيل انفرد بها الناصري والمتعلقة خاصة بأسماء القبائل المشاركة في المعركة وذلك لأنه مغربي ويعرف تلك لقبائل جيدا.

5.1.3. نتائج الثورة:

يتفق ابن حمادوش مع الناصري في عدة نقاط منها؛ أن هده الثورة تسببت في نشر الخوف والرعب وسط الناس وخاصة سكان فاس، كما تسببت في غلاء الأسعار ، ويتفق المؤرخان أيضا حول دخول السلطان المولى عبد الله مع جنوده إلى طنجة وكيف استولى على كل أموال وذهب أحمد بن علي الريفي وأقمشة فاخرة وجميع ممتلكاته وثرواته الكبيرة حيث يقول ابن حمادوش أنها حملت على أربعمائة بغل وثلاثمائة جمل، بالإضافة إلى أربعمائة قنطار بارود، ويضيف الناصري الى تلك الممتلكات العبيد والإماء والخيل والبغال والماشية من ابل وبقر وغنم، إضافة إلى كميات كبيرة من القمح والشعير استخرجها كانت مدفونة في مطامير تحت الأرض.[5]

---

[1]- ابن حمادوش، المصدر السابق، ص. 92

[2]- الناصري، المصدر السابق، ص. 163

[3]- ابن حمادوش، المصدر السابق، ص. 93

[4]- المصدر نفسه، ص. 92

[5]- الناصري، المصدر السابق، ص. 166

أما بالنسبة إلى المولى المستضيء بنور الله فقد ذكر ابن حمادوش أنه حاول التصدي إلى لجيش السلطان المولى عبد الله لكنه انهزم أمامه في معركة كانت قريبة من مدينة القصر ومات في فيها أكثر من أربعة آلاف، وغنم المولى عبد الله أسلحتهم وخيلهم، وفر المولى المستضيء بنور الله إلى مدينة سلا.[1]

أما الناصري فقد ذكر أن عدد جيوش المولى المستضيء هو عشرون ألف فارس من بني حسن ومن العبيد، كما قال أن المولى عبد الله لم يكن يدري باستعدادات المولى المستضيء إلى أن رأى الخيل مقبلة عليه فاستعد بسرعة وهزمهم في أقل من ساعة وذكر أن عدد القتلى يزيد على ألف فارس من بني حسن أما المولى المستضيء فقد فر إلى بني حسن وأقام عندهم[2]، وعلى العموم اتفق المؤرخان حول مكان المعركة ونتيجتها واختلفا في عدد القتلى ونعتقد أن ما ذكره ابن حمادوش هو الأقرب إلى الصواب لأنه عايش الحدث على عكس الناصري الذي اعتمد في تاريخه على مصادر أخرى بعيدة زمنيا عن الحادثة.

4. الجانب الجغرافي:

يظهر الجانب الجغرافي عند ابن حمادوش في وصف المدن والأمصار وتحديد مواقعها والمسافات التي تفصل بينها، كما تناول المسالك والممرات التي عبرها، ومن هنا ساهمت هذه الرحلات في رسم الخرائط القديمة[3].

انطلق ابن حمادوش رأسا من مدينة الجزائر وركب البحر، حتى وصل إلى مضيق جبل طارق بعد عشرة أيام، ذاكر اليوم والساعة والتاريخ الإسلامي والمسيحي وأحيانا أخرى الإسكندري عند دخوله أو خروجه من كل مدينة زارها؛ فقد بدأ تسجيل رحلته في: "مبدؤه من أول ليلة الاثنين فاتح عام 1156عربية الموافق رابع عشر فبراير ثاني شهور سنة 1743مسيحية وخامس شهور سنة 2054 اسكندرية"[4]، وذكر أنه دخل تطوان يوم الأحد 20 فيفري من نفس السنة وخرج منها في 18 صفر 1156هـ/2 أفريل 1743م ووصل إلى مكناس في26 صفر 1156هـ الموافق ل10 أفريل 1743م، ثم سافر إلى فاس دخلها يوم الجمعة 9 ربيع الأول،1156هـ الموافق ل22 أفريل 1743م.

لقد بيّن ابن حمادوش المسافات بين المدن بالأيام، وسجل كل ما قام به من أعمال وما صادفه وشاهدته عيناه؛ من القرى والوديان التي مر بها والجبال وأغرب الأشجار وأسماء القبائل وعاداتهم وأغرب الطيور والحيوانات،[5]

5. وصف العمران:

احتل وصف المدن والقرى والحدائق والفنادق مكانا بارزا في رحلة ابن حمادوش حيث تكلم عن كل المدن والقرى التي زارها كتطوان ومكناس وفاس وذكر أهم فنادقها ومساجدها وحتى مقابرها، كما وصف قرية القصر وقال عنها:" **فليس يسكنها حر مهدمة البناء نائية الماء ومع أنها كبيرة المنشأ قليلة الممشا عددت بها ثلاث عشرة صومعة سوداءات كان لبنها موضوعة**"[6].

---

[1]- ابن حمادوش، المصدر السابق، ص.95

[2]- الناصري، المصدر السابق، ص. 166-167

[3]- حنيفي هلايلي، الجزائريون والرحلة إلى الحجاز على ضوء رحلتي الورتلاني وأبو راس الناصري، مجلة الشهاب الجديدة، مجلد7، العدد7، السنة 7، جامعة سيدي بلعباس، 2008، ص.26.

[4]- ابن حمادوش، المصدر السابق، ص.29

[5]- المصدر نفسه، ص، ص. 71، 72، 98.

[6]- المصدر نفسه، ص.72

6. الحياة الاجتماعية والاقتصادية:

تكلم ابن حمادوش عن بعض الأخلاق والعادات والاحتفالات وأنواع من الملابس والأطعمة المنتشرة بين سكان وقبائل المناطق التي زارها بالمغرب الأقصى، فمن مدينة مكناس نقل صورة حية عن الفساد الاجتماعي والمتمثل في انتشار بنات اللهو بالفنادق، وسجل عن أهل فاس أنهم يعظمون الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بالذبائح وغيرها ويقيمون الاحتفالات بالطبالين والمنشدين وآلات الطرب ويحملون الشموع مختلفة الألوان[1].

كما وصف طعام العامة بفاس وقال إنه هشيم الضأن بالقرفة والكسكس، وقال عن رجالهم أنهم لا يتعممون إلا القليل وأن نساءهم لهم عمائم كبيرة من حرير طولها ثمانية عشر ذراعا ولونها أبيض أو نصفه لون الزبيبي أو عكري وبالشاش الهندي أو بالشقة الجيدة المصري. أما أقبح عادة في أهل المغرب فيقول عنهم: " إن أقبح ما في المغرب كله حماماتهم لأنهم يبدون عوارتهم فيها."[2]

بالنسبة للأوضاع الاقتصادية ذكر ابن حمادوش قيمة الرسوم الجمركية على السلع المستوردة وطريقة تحصيلها ومكان إيداعها(دار العشر)، وأخبرنا كذلك عن السلع الموردة من الجزائر إلى المغرب[3]، وذكر كذلك أسعار كراء الغرف في الفنادق بالمدن التي زارها كما أعطانا فكرة حول العملة السائدة بمدن المغرب وكانت غير موحدة فقد ذكر بتطوان سعر كراء الغرفة ست عشرة موزونة في كل شهر[4]، أما بفاس فقد قام بكراء غرفة بستة فلوس لليوم[5]. كما ذكر المثقال المغربي[6] وأوقية فضة[7].

7. الجانب العلمي:

يطغى الجانب العلمي على رحلة ابن حمادوش فعلى الرغم أن رحلته كانت بهدف التجارة إلا أنه قليلا ما أشار إليها، وكان جل اهتمامه منصبا على لقاء أشهر العلماء في المدن التي زارها بالمغرب وحضور الدروس في مختلف العلوم وقراءة الكتب ونسخها وتلخيصها وإضافة الحواشي عليها واقتناء التآليف النادرة، وقد سجل ذلك في مكانه وزمانه؛ حيث التقى في تطوان **الشيخ امحمد البناني الفاسي** وأجازه في قراءة " **مختصر خليل**" في الفقه و"صحيح البخاري"، "**صغرى السنوسي**" في التوحيد، وحضر دروس **بالشيخ أحمد الورززي** في الفقه والعقيدة والحديث وأجازه أيضا، وبحث عن عالم في العلوم العقلية فلم يعثر عليه[8] .

في مكناس التقى **بالشيخ عبد القادر الفاسي** وأخذ منه تآليف كثيرة في علم الفلك قرأها ونسخها، وفي فاس التقى **بالحكيم عبد الوهاب أدراق** طبيب سلطان المغرب المولى إسماعيل وأولاده قرأ عليه وأجازه، والتقى كذلك بالعالم الكبير **الشيخ ابن المبارك**

---

[1]-المصدر نفسه، ص-ص. 79، 84.

[2]-ابن حمادوش، المصدر نفسه، ص.94.

[3]- المصدر نفسه، ص.31، 32

[4]-الموزونة هي عملة نحاسية كانت متداولة في إيالة الجزائر لمزيد من المعلومات ينظر: نادية فتيسي، أوضاع الجزائر من عهد محمد بن عثمان باشا إلى غاية عهد حسين باشا،- الأوضاع السياسية والاقتصادية نموذجا-، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة 8 ماي 1945-قالمة 2018/2017، ص-ص.281-282 /ابن حمادوش ، المصدر السابق، ص.32.

[5]- المصدر نفسه، ص78

[6]- **المثقال**: هي العملة الذهبية في المغرب الأقصى ويقابله **السلطاني** في ايالة الجزائر

[7]- ابن حمادوش، المصدر السابق، ص.98.

[8]- المصدر نفسه، ص-ص. 32-37

الذي قال عنه: "ولما دخلت فاس لقيت بها رجلا من خيّار الناس قد جمع العمل والحلم وبرع في جميع فنون العلم تابعا لمنهاج الحق وعليه سالك الشيخ الفاضل والعالم الكامل سيدي أحمد بن مبارك." قرأ عليه **مختصر السنوسي في المنطق** وأجازه[1].

وعند عودته إلى تطوان قبل سفره إلى الجزائر اعتكف على التأليف ونسخ الكتب في الفلك والرياضيات فقد نسخ "**شرح البوعقيلي على روضة الأزهار**"، **وألفية العراقي** في السيرة، وألف "**الروزنامة**"و"**الدرر على المختصر للسنوسي**" في المنطق، واقتنى العديد من الكتب منها كتاب **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** للقاضي عياض و**مقامات الحريري** وغيرها في الفقه والأدب.[2]

خاتمة:

بعد القراءة المتأنية لرحلة ابن حمادوش إلى المغرب الأقصى ومطابقتها مع المصادر المغربية نقف فيها على العديد من الاستنتاجات منها:

1- أعطى ابن حمادوش صورة واضحة حول الأوضاع السياسية بالمغرب الأقصى خلال سنة 1156هـ/ 1743م؛ فقد كان شاهدا عيانا على الفتنة الداخلية التي حدثت بسبب تمرد أحمد بن علي الريفي قائد تطوان وخروجه على المولى عبد الله سلطان المغرب، ملتزما بالمنهج الوصفي السردي التاريخي في تسجيل أحداث هده الثورة ومن حين إلى آخر يقدم تحليلا وتفسيرا لبعض الأحداث مثل أسباب الثورة التي ربطها بشخصية أحمد بن علي الريفي الثائر الطموح للسلطة وكيف استغل الفوضى المنتشرة في المغرب الأقصى للاستقلال بالحكم.

2- سجل ابن حمادوش أحداث هده الثورة من البداية إلى النهاية معتمدا على ملاحظاته والتأريخ الدقيق لمجرياتها، فقد سجل الوقت واليوم والشهر والسنة بالهجري والميلادي للمعارك وأسماء المواضع التي دارت بها كقوله: "فخرج إليه المولى عبد الله يوم الاثنين مساء آخر يوم من جمادى الأولى سنة 1156هـ الموافق ل11 جويلية 1743م ونزل إلى القصر قريب من مكان تمركز الريفي." وهدا التسجيل الدقيق للتاريخ والمكان والحدث يدل على انه بالفعل عالم فلك متميز عن باقي علماء عصره، وهو الأمر الذي جعل من رحلته مصدرا أوليا للباحثين والمؤرخين في المغرب الأقصى الحديث .

3- اعتمد ابن حمادوش على ذكر الأرقام في ثورة أحمد الريفي من خلال تسجيله لعدد القتلى في المعارك حيث قال أنها بلغت أربعة آلاف قتيل كما أحصى الغنائم التي استولى عليها جيش المولى عبد الله وبين حصة كل فارس. وسجل كذلك ممتلكات أحمد الريفي التي صادرها المولى عبد الله بعد دخوله إلى قصره بطنجة من ذهب وأثاث وأسلحة وغيرها.

4- كما أكد ابن حمادوش على نتائج الثورة التي انعكست سلبا على الناحية الاقتصادية وقال إن هذه الثورة تسببت في نشر الرعب وغلاء الأسعار. وتتوافق أحداث وغنائم الثورة التي سجلها ابن حمادوش إلى حد كبير مع ما كتبه الناصري في كتابه الاستقصاء في جزءه السابع مع وجود بعض الاختلافات الطفيفة وقد ذكرناها في مكانها، ومع ذلك فقد وقع ابن حمادوش

---

[1] -المصدر نفسه، ص،ص.، 78، 81، 83

[2] - لمصدر نفسه، ص،ص،69، 71، 83

في بعض الهفوات خلال تسجيله لثورة أحمد الريفي؛ فقد أخطأ في اسم صاحب الثورة غير أنه استدرك خطأه وصححه في الصفحات الموالية كما وقع في التكرار ذلك لأنه ينتقل من موضوع إلى آخر حسب التسلسل التاريخي للأحداث ولا يتبع وحدة الموضوع.

5- كما تكتسي رحلة ابن حمادوش قيمة علمية وأدبية ودينية فقد عرفتنا بأشهر العلماء والمؤلفات في تلك الفترة وطريقة الحصول على الإجازات، وقدم نموذجا منها، أما القيمة الأدبية فتتمثل في أسلوب كتابة الرحلة والمتنوع بين النثر والشعر والمقامات.

6- ضرب ابن حمادوش أروع الأمثلة في حب العلم والتضحية فكان لا يدخر جهدا ولا مالا من أجل الحصول على الكتب التي يحتاجها إما اقتناءً أو نسخا. فقد أنسته فرحته بالإجازات والكتب التي حملها معه من المغرب خسارته في تجارته، مما يدل على شغفه وتقديسه للعلم.

7- ثقافة ابن حمادوش موسوعية في مختلف العلوم الشرعية واللغوية والتاريخ وعلوم الفلك والطب والصيدلة وعلم التوقيت والحساب والمنطق، وقد اهتم الأوربيون بهذا العالم قبل الجزائريين منذ زمن طويل ونشروا أعماله وترجموها إلى الفرنسية كمؤلفاته الطبية والتاريخية.

8- قدم ابن حمادوش تأليف نادرا في أدب الرحلة يعود إلى القرن الثاني عشر هجري الثامن عشر ميلادي، ويعتبر من أهم المصادر لا يستغني عنها الباحث في ليس التاريخ فقط وإنما في الجغرافية والأدب للمغرب الأقصى وإيالة الجزائر خلال تلك الفترة، فهو قدم لنا معلومات قيّمة ومتنوعة الموضوعات عن الحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ووصف لنا الطرق والممرات والمباني والعمران، ملتزما بالتحديد الزماني والمكاني لكل عملا ينجزه أو عالما يلتقي به.